نـافـذة

الأخلاق والضمير

أين الأخلاق في كل ما يحدث في عالمنا العربي والإسلامي؟! أين «الوازع الديني»، أو ما يطلق عليه «النفس اللوامّة»، التي أقسم بها الله سبحانه وتعالى في سورة القيامة: «لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة».. أين الضمير، الذي يعايش الناس ولا يفارقهم، والذي يعد «ميزان العدل»؟! هذا الضمير الذي يقف حارساً يقظاً في مواجهة النفس الإنسانية الأمارة بالسوء، فإذا ما حاولت أن ترتكب الآثام أو تخترق الحرمات، وتتجاوز الحدود كان هذا الضمير محاصراً لنزواتها، وعازلاً عند غوايتها وعن غيّها.

هذا الضمير إذا استدمنا إيقاظه داخل كل إنسان، حصلنا على أمة لا تعصي أمر الله، وتنمو فيها الأخلاق الحميدة، وتتكاثر فيها المآثر المحمودة في كنف الوازع الديني، الذي مصدره تقوى الله، التي تثمر الأخلاق، التي تلازم صاحبها في كل وقت، فالصدق صدق، في كل لحظة وكل حال، في اليسر وفي العسر.

في هذه الأزمات التي عصفت بالأمة الإسلامية، نشعر بجلاء أن ما حدث ويحدث بقوة، عن ضعف الأخلاق، وقصور في التربية والثقافة، وقصور في تنشئة «الضمير الوازع» الذي يعصم من الرزائل... وما حدث في «الضمير» لم ينشأ عفو الخاطر، وإنما عن إهمال مدروس، قادنا إلى ما وصلنا إليه من قتل وتدمير وإرهاب وفظائع لم تعرفها الأمة العربية والإسلامية، عبر تاريخها الطويل.

لقد أفسدوا الأخلاق والضمير الوازع، وأفسدوا علاقة التلميذ بالمدرسة والطالب بالعلم، وأفسدوا العلاقة الوثيقة بالمدرسة والجامعة والمجتمع والدولة والوطن، ولم نعد نعول على القدوة الصالحة، التي كنّا حتى وقت قريب نعتبرها الأساس الأول في مجال الأخلاق، ولم يعد الصغير يقتدي بالكبير، والابن يقتدي بالأب، والبنت تقتدي بالأم، والتلميذ بأساتذته، وأصبحنا نقول ما لا نفعل، ونفعل ما لا نقول..

بالله عليكم ما حدث ويحدث في عالمنا العربي والإسلامي، ما علاقته بالأخلاق، وبالضمير الوازع وبالقدوة الحسنة. ما علاقته بتعاليم القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.. في إحياء «الضمير الوازع» في البيت والمدرسة ووسائل الإعلام، ازدهار للمجتمع، وامتناع عن الشرور والآثام، وإحياء للتراث العربي الإسلامي وللكلمة الطيبة التي قال عنها الله تعالى في كتابه الكريم، في سورة إبراهيم: «كلمة طيبة، كشجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء».

ما يحدث اليوم، ليس له علاقة بالدين ولا بالأخلاق ولا بالضمير الوازع.. ما يحدث هدد كيان الأمة، وزعزع بنيانها، ودمر حضارتها وأساس فعلها الأخلاقي الكبير... ما حدث ويحدث، كما يفعل المفسدون في الأرض الذين روجوا وخططوا لبضاعتهم الفاسدة، باسم الحرية المغلوبة على أمرها، والديمقراطية الغائبة، والشعب المقهور، وحسبنا أن نردد مع الخليفة الراشدي عثمان بن عفان (رضي الله عنه) حين وليّ الإمارة وصعد المنبر: «أمّا بعد: أيها الناس سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد ضيق فرجا، وأنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال..». وقدوة العمل والأفعال الحسنة والأخلاق الحميدة، هي الأقوى في مراحل الحياة كلها..

د. علي القيّم

أسس في اللوحة المحليّة وصورة المكان فكان رائداً في الحداثة

نذير نبعة... نكهة لونٍ سوريّ في عالميّة الفنّ وتأسيس لتشكيل مختلف

من صحبة الأبنودي ونجم إلى العمل الفدائي ولوحته التي في الذاكرة

عامر فؤاد عامر

نقتفي مآثره ونتتبّع خطواته لنجد فيها الكثير من القوة والحساسية، والمزيج بين الأصالة والحداثة، وحتى الآونة الأخيرة من عمره نلمس قناعته في رؤية الموت وتحليله الصوفي له، وعن عمر يناهز ٧٨ عاماً عاش في رحلة ملأى بالاكتساب والعطاء، فكانا خطين متوازيين لديه، لكنه وبعد اليوم يبقى لخط عطائه الغلبة، فهو مدرسة فنيّة ذات طبيعة سوريّة لم تكن يوماً إلا ضمن حدود الجمال وفي نسبة تأخذ بالمزيد من الإعجاب والفخر لكلّ من عرفه وسيعرفه من الأجيال القادمة.

بستان أم محمود

ولد الفنان التشكيلي «نذير نبعة» في دمشق ١٩٣٨، وعن مكان نشأته « المزّة» نأخذ على لسانه المقتطف: «ذاكرة البستان هي الجذور التي صنعت المفاهيم والأشكال والرموز التي تراها اليوم في لوحاتي؛ فلو كان العمر شريط فيديو ورجعنا به إلى الوراء، فستكون فترة طفولتي هي من أجمل أيام عمري؛ تلك الفترة قضيتها في بستان جدّتي «أم محمود» في المزّة، القرية المشكلة من بيوت طينيّة وليس على ما تراه اليوم من إسمنت أكلها عن آخرها».

رسم الملابس – مرسم الجعفري

لكن بالعودة إلى تلك الذكريات المفعمة بالبراءة، وبالألوان الأساسية سنجد أن المزاولة الأولى للرسومات كانت من خلال عمله مع والدته، التي كانت تخيط الملابس لنساء القرية، فكان هو يطبع رسوماته عليها، وكان بذلك يكتشف نفسه في لوحة فريدة، تحمل طابعاً حياتياً، يثير السعادة في نفسه، فرسومه تلك كانت تحيا منذ اللحظة الأولى في ابتسامة صاحبتها وتحركاتها، وينتسب «نذير» صغيراً إلى مرسم الفنان التشكيلي «ناظم الجعفري» في ثانوية «التجهيز» ليتابع بصورة أقرب تقنيات تخص الرسم وأدواته ليتفهم طبيعتها وأنواعها ومنه أخذ كرم التعامل مع الحالة الفنيّة والجديّة في التعلّم، وتشير سيرته الذاتيّة إلى أنه كان يتردد إلى منزل الفنان «محمود جلال» ليتأمل في لوحاته وينبهر في ألوانها أيضاً.

القاهرة وثقافة أكاديميّة

بقي الحلم كامناً في دواخله إلى أن أنهى دراسته في دمشق وانتقل في بعثة إلى مصر لدراسة الفنون الجميلة عاصر فيها كبار المثقفين، والشعراء في تلك الفترة الممتدة أيام الوحدة بين سورية ومصر ونذكر من هؤلاء: «عبد الرحمن الأبنودي»، و«سيد حجاب»، و«أحمد فؤاد نجم»، و«محمود أمين العالم»، و«آدم حنين». وكانت الدراسة في القاهرة في مرسم عبد العزيز درويش امتداداً لستّ سنوات ليعود بعدها إلى دمشق ١٩٦٥ مع الفنانة التشكيلية «شَلبيّة إبراهيم» التي أصبحت زوجته.

الفرات والعودة للجذر

التحرر من الأسلوب الأكاديمي الذي كسبه من القاهرة كان بعد عودته إلى دمشق والانتقال إلى دير الزور كموفد للتدريس في مدارسها هناك فدخلت الرمزيّة لوحاته في أجساد مرصّعة بالتمائم ووجوه ذات عيون كبيرة، ويبدو أن الاهتمام بالعيون واكب أعماله فترة طويلة امتدت ما بين١٩٦٦ و١٩٧٥، فحاول الفنان «نذير نبعة» الاقتراب هنا من الفنّ التقليدي المحلّي. والمتتبع للوحاته في تلك الفترة سيجدها محمّلة بجوٍ ملحمي حالم، ووجوه ببشرة سمراء، وعناصر من الأنتيكا مدهشة في انتشارها، وفتيات عاريات الصدر والمزيد من الزخرفة المتآلفة معها، ومع هذه التجربة الزمانيّة والمكانيّة يمكن الملاحظة على أسلوبه تجسيد الشخصيّة الفراتيّة التي ربطها مع المكان واكتشاف البادية، فكانت ألوان الصحراء أكثر حيويّة في لوحته المتجددة، والعلاقة مع نهر الفرات والطبيعة المختلفة التي تحمل في مضامينها سطور حضارات أولى في المنطقة ما أضاف لتجربته التشكيليّة، فكان أن بدا على لوحته ذلك الأثر بقوّة فجاء اللون الأسمر يفيض بين النيل الذي استقى منه والفرات الذي استقر إليه.

الفدائي والنكسة

من العلامات الفارقة في خطّه الفني هو تبديل مواضيعه الفنيّة عقب نكسة حزيران عام ١٩٦٧ فانخرط في المقاومة الفلسطينيّة، وكان عضواً في «حركة فتح»، فرسم الفدائي في الملصقات السياسيّة التي انتشرت بقوّة في تلك الفترة، وشخصيّة الفدائي تلك هي التي كانت المنقذ من الاكتئاب وحالة الإحباط العامّة، فكانت بوجودها تدافع عن مفهوم الوطن، والدفاع عن الحقوق المغتصبة التي تسربت من بين أيدي العرب، فكانت الناطق الرسمي بلسان الحراك الفلسطيني، ولانغماسه في العمل الفدائي ما زال الكثير يعدّونه فلسطينياً إلى يومنا هذا.

بوزار باريس

غادر الفنان «نذير نبعة» الوطن من جديد وهذه المرّة إلى باريس ١٩٧٢، فدرس في المدرسة الوطنيّة العليا للفنون هناك وقدم مشروع تخرجه في (البوزار) الذي حاز عليه المرتبة الأولى، وما يميز تجربته هنا بالتحديد هو التمسك بالجذور والبحث عنها في عيون الآخرين، فلم يكن له انحلال في الانبهار بألوان بعيدة عن منشئه، ولا سفر الابتعاد عن كينونته التي منحته نبعه فكان يبحث عن سيرورته في كل مكان زاره وهذا ما يدل على أصالته في سوريته التي تجذرت فيه فمنحت اللون إشراقته في كل لوحة قدّمها وانتزع من الجميع شهادة في الشرق وفي الغرب، فلا يمكن تجاهل هويّة المكان في لوحته ولا لون البشرة لابن المنطقة ولا الصوفيّة كخصوصيّة ولا اللون الصحراوي ولا النظرة العميقة للوجوه الدالة على العمق الحضاري.

اتجاهات

بعد العودة من رحلته إلى الغرب أصبح أستاذاً في الدراسات العليا في قسم التصوير في كليّة الفنون الجميلة في دمشق، وكان له عمله في الصحافة السوريّة فرفع من مستوى الرسوم التوضيحيّة وفنّ الغرافيك فيها، وفي الثمانينيّات من القرن الماضي شكّل الفنان «نذير نبعة» مع رفاقه «أسعد عرابي»، و«الياس الزيّات»، و«خزيمة علواني»، و«غياث الأخرس»، و«غسان السباعي»، و«عبد الحميد ارناؤوط» ما عُرف بـ«جماعة العشرة» احتجاجاً على أداء المؤسسة الثقافيّة الرسميّة، ودفاعاً عن تصوّر هؤلاء عن الأكاديميّة الفنيّة ودور اتحاد التشكيليين السوريين في رفد ودعم الحركة الفنيّة، وقد عرف أعضاؤها في النهاية أن الفنّ هو مسألة ذاتيّة؛ ووقعت الخلافات بين أفرادها بعد مدّة قصيرة فتفرقت وعادت إلى مفهوم المرسم والمعرض الفردي، وميّزة هذه الجماعة أنها جاءت في فترة كانت مهمّة على المستوى العربي.

فاتح المدرس

من بين النقاط البارزة في حياة «نذير نبعة» الفنيّة كان التقاته لما قدّمه الفنان الكبير «فاتح المدرّس» فجاء استلهامه للإرث الثقافي والجمالي الذي سبق الإسلام متناغماً مع ما اختاره وتعلّمه من جولته التدريسيّة في محافظة «دير الزور» فزاد اهتماماً بالحياة الشعبيّة، وقصص القدامى، وذكريات الفرات، والعلاقة مع الصحراء. ومع كلّ حدث يعني الأمة العربيّة، كانت ألوانه تنساب بلغة أكثر حساسية فكان اجتياح العاصمة «بغداد» حدثاً مثيراً كي يرسمها بعد تعرضها للقصف الأميركي من الجو مقتبل التسعينيات وكثير من الأحداث غير ذلك كما مجزرة «قانا» وغيرها.

قالوا فيه

يصف الفنان التشكيلي «طلال معلا» واحداً من المعارض التي قدّمها الراحل: «كان هزّة قويّة في الوسط التشكيلي السوري؛ إذ كُتب عنه الكثير من النقاد وممن يهتمون بالفنّ التشكيليّ في تلك الفترة؛ انطلاقاً من أهمية هذا الفنان الجديد الذي قدّم صورةً مختلفة وبشكل تعبيري راقٍ عن الحالة الإنسانية في سورية، مجسداً موقفه من التشكيل من جهة ومن القضايا التي تطرحها لوحاته، ولذلك يمكن القول إن (نذير نبعة) كان من مؤسسي الحداثة في التشكيل السوري».

الفنان التشكيلي «نزار صابور» يتحدّث عن تجربة الفنان «نذير»: « هو من الجيل الذي أعطى للفنّ البصريّ السوري حضوراً وتميّزاً، وكان أستاذاً لأجيال مرّت في كليّة الفنون الجميلة، اهتمامه بالطلبة ومحبّته لعمله جعلاه الأقرب إلى أغلبيتهم».

الفنان «بسام كوسا» يقول أيضاً عنه: «قيمته الفنيّة وصلت إلى كلّ جمهوره، لكن أثره وبعده الإنساني لا يقلان أهمية أو نبلاً عن فنّه، غالباً يتباين المستويان الفني والإنساني عند المبدع، لكن عند «نذير» كان الأمر مختلفاً لأن روحه حملت هامشاً إنسانياً واسعاً مشى بالتوازي مع فرادة فنّه».

تصالحٌ مع الموت

توفي الفنان التشكيلي «نذير نبعة» في دمشق بعد مرحلة من التعب الصحي، من أحاديثه السابقة يقول عن مفهومه في الموت ويشرح: «... الموت لدي هو ما بعد الحياة ؛ وهو ليس شيئاً محزناً أو مخيفاً؛ فما بعد الحياة يمكن أن يكون هناك حياة أخرى، فعندما أقول إن بياض اللوحة هو الموت يعني هذا أن الأبيض لا أشكال ولا ألوان؛ بل هو سديم من البياض، مثله مثل الليل بالنسبة لطفل؛ ما إن يطلع عليه نور الشمس الذي يضيء العالم من حوله؛ حتى تبدأ الحياة فيتبدى المشهد جلياً أمامه؛ ويرى هذا الطفل العصافير والأشجار والفلاحين في الحقل، أجل الحياة تبدأ مع هذا النور»

أعماله مقتناة من وزارة الثقافة السورية / المتحف الوطني بدمشق / القصر الجمهوري / متحف دمر / ضمن مجموعات خاصة.

له تجارب ومشاركات في مجال الرسم الصحفي ورسوم كتب الأطفال، والكتابة في مجال الفنون التشكيلية.

من معارضه الخاصّة

معرض فردي في صالة الفن الحديث بدمشق ١٩٦٥.
صالة الصيوان، دمشق ١٩٦٨.
غاليري واحد، بيروت ١٩٦٩.
المركز الثقافي العربي، دمشق ١٩٧٩.
غاليري بوزار، دبي ١٩٩٧.
معرض استعادي في المركز المجمع الثقافي، أبو ظبي ١٩٩٨.
معرض التجليات، غاليري أتاسي. دمشق ٢٠٠٣.

من معارضه المشتركة

شارك في معارض بين ١٩٦٤ – ٢٠٠٦ في كل من حلب، القاهرة، باريس، مدريد، بوليانا (إيطاليا) سان باولو، موسكو، طوكيو، لايبزغ، براتسلافيا.
مشارك في الحركة التشكيلية السورية والعربية منذ عام ١٩٥٢.

شرف على بينالي القاهرة الدولي في صالة الأوبرا، القاهرة.

الجوائز

• معرض غرافن آ ١٩٩٦٧.
•جائزة تقديرية في بينالي الإسكندرية الدولي ١٩٦٨.
جائزة المدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة ١٩٧٤.
دبلوم من معرض لايبزغ الدّولي في مجال الغرافيك ١٩٧٨.
دبلوم من معرض براتسلافا الدّولي في مجال رسوم الأطفال ١٩٧٩.
الجائزة الفضيّة في المعرض الدّولي السادس لرسوم كتب الأطفال مؤسسة نوما اليونيسكو، اليابان ١٩٨٩.
جائزة لجنة التحكيم في بينالي القاهرة الدولي ١٩٩٥.
دبلوم شرف بينالي القاهرة الدولي ٢٠٠٤.
وسام الاستحقاق السوري من الدّرجة الممتازة ٢٠٠٥.

الإرث الثقافي والجمالي العربي تناغم عند نذير نبعة مع ما عاشه في الصحراء

«مدرسة الحب» قيد التأجيل

أجلت قناة «OSN» موعد عرض مسلسل «مدرسة الحب» ليوم العاشر من شهر آذار «مارس» المقبل لأسباب تتعلق ببرمجتها، وسيعرض المسلسل لاحقاً على قناة أبو ظبي.

ويتابع المخرج صفوان مصطفى نعمو تصوير ما تبقى من ثلاثيات العمل، حيث شارف على الانتهاء من ثلاثية «أسوار» التي يلعب بطولتها كل من عامر علي ورنا شميس، ومن المقرر أن يتجه بعدها إلى دولة الإمارات لاختتام العمل بثلاث ثلاثيات.

العمل اجتماعي معاصر، يتألف من ثلاثيات (عشرين حكاية في جزأين) عن نصوص كتبها مازن طه ونور شيشكلي، يتناول قصص حب لا تقتصر على الحب، وإنما تواجه تحديّات مختلفة.

افتتاح العرض الرسمي لفيلم «ياسمين»

افتتح أمس العرض الرسمي للفيلم الوثائقي القصير «ياسمين» للمخرج المهند كلثوم وإنتاج صورة الحياة للإنتاج السينمائي وذلك في مسرح الأوبرا بدار الأسد للثقافة والفنون.

ويتحدث الفيلم عن أطفال سورية في ظل الحرب الإرهابية التي تشن عليها إذ يعيش معظمهم ظروفاً صعبة.

والفيلم سيناريو منعم السعيدي والمهند كلثوم وبطولة كل من هبة المرعي ولونا الأخرس وسروت كبتول وعبد الرحمن مصطفى.

يذكر أن الفيلم شارك في المسابقة الدولية للدورة الثالثة من مهرجان كامليون السينمائي الدولي الذي اقيم في كانون الأول من العام الماضي في مدينة بودوتشيري بالهند.